

الفصل الثاني

سعد زغلول والمدرسة

بعد أن تولى سعد زغلول نظارة المعارف في ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦ أولى هذه المدرسة جل اهتمامه بالنظر لكونها المدرسة التي تعد المعلمين لتربية أبناء مصر وتعليمهم فحاول تمصيرها ادارة ومنهاجها وادخال بعض المواد الجديدة بها ومن أجل ذلك دخل في صراع عنيف مع سياسة الاحتلال التعليمية التي يمثلها دنلوب ونجح في اثبات كفاءة المصريين لتولى المناصب العامة في إدهم بتعيين اسماعيل بك حستين^(١) ناظرا للمدرسة بدلا من ناظرها الانجليزي المستر « ديليني » ، وفي تعيين وكلاء هذه المدرسة بصفة دائمة من المصريين .

كما نجح في احلال اللغة العربية محل الانجليزية كلفة للدراسة مستغلا في ذلك ما احدثته حادثة دنشواي من الالام للمصريين واضطرار سلطات الاحتلال الى الاستجابة لبعض المطالب الوطنية ومنها تعريب التعليم في المدارس .

والى جانب ذلك فقد نجح في ادخال العديد من التعديلات الهامة على نظام الدراسة بالمدرسة ، وعالى مناهجها الدراسية فمن أجل ترغيب الطلاب في الالتحاق بهذه المدرسة على غيرها من المدارس رأى أن تقتصر مدة الدراسة بها الى ثلاث سنوات بدلا من أربع كما رأى حذف اللغة

(١) كان من أوائل خريجي هذه المدرسة الذين سافروا في بعثة الى الخارج حيث أتم دراسته بمدرسة المعلمين بسان كلو بفرنسا ، ونجح بتفوق في العلوم الطبيعية ، وحصل على شهادة التدريس ، وعند عودته الى مصر عين مدرسا ثم تدرج في مناصب التدريس حتى وصل الى وكالة نظارة المعارف .

انظر : متحف التعليم : البعثات العلمية في القرن التاسع عشر ج ٢

سنة ١٩٦٣ ص ٢٥٢ .

الفرنسية الاضافية وتعميم دراسة التاريخ الطبيعي لكل من الفصلين الأدبي والعلمي^(٢) على ان يتم تدريسها باللغة العربية .

وحول موقف الانجليز من ذلك يذكر سعد زغلول أنه بالرغم معارضة دنلوب ادخال مادة التاريخ الطبيعي ضمن المناهج الدراسية بالمدرسة بحجة عدم وجود التخصصين لتدريس هذه المادة فإنه تغلب على هذه المشكلة بتعيين ميخائيل أفندى فرج^(٣) مدرس الرياضيات بأحدى المدارس الثانوية لتدريس التاريخ الطبيعي باللغة العربية ، ولما اعترض المستشار على ذلك لعدم تخصص ميخائيل أفندى في هذه المادة أوضح له سعد ضرورة وضعه تحت التجربة فاذعن لذلك^(٤) .

أما عن موقف الانجليز من احلال سعد للغة العربية محل الانجليزية كلفة الدراسة بالمدرسة فقد رأى دنلوب ان المحافظة على سياسته في نجلزه التعليم وابعاد المصريين عن وظائف بلادهم تأتي عن طريق فتح ابواب مدرسة المعلمين لكل انجليزى من معامى المدارس يريد تعتم اللغة العربية^(٥) وان يشكل من هؤلاء مجموعة تقوم بالتدريس للطلبة باللغة العربية .

وعاى الرغم من موافقة سعد زغلول على انشاء وظيفتين لاستاذين مصريين لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من المعلمين الاوربيين بالمدرسة^(٦) فإنه رأى عدم تحميل المدرسة ما هو فوق طاقتها وتصر

(٢) مذكرات سعد زغلول ج ٢ ص ٧١٥ .

(٣) تخرج من المعلمين التوفيقية في عام ١٨٨٩ ، وسافر الى فرنسا والتحق بمدرسة النورمال وحصل على دبلوم مدرس عام ١٨٩٢ .

انظر : متحف التعليم : البعثات العلمية في القرن التاسع عشر

ص ١٦٧ .

(٤) مذكرات سعد زغلول ج ٢ ص ٦٦٦ — ٦٦٨ .

(٥) نفسه ج ٢ ص ٦٦٤ .

(٦) نفسه ج ١ ص ٥٣٢ — ٥٣٧ .

والجدير بالذكر ان جريدة اللواء كانت قد انتقدت سعد زغلول على تخصيصه هاتين الوظيفتين ، وكان رده على ذلك قوله « الاولى ان يستخف الانسان بهذه السفاسف » وان يقوم بما يراه هو الواجب عليه .

الاتحاق بها على من يعرف اللغة العربية من الانجليز ويريد الاستزادة منها فقط . ونتيجة لتمسك سعد زغلول برأيه قرر الانجليز الاعتماد عن مدرسة المعامين وتأسيس مدرسة جديدة بالاسكندرية لتدريس اللغة العربية للمعلمين الانجليز (٧) .

يضاف الى ذلك انه خلال نظارة سعد تم تقسيم المدرسة الى قسمين مدرسة عالية ويدخلها حماة البكالوريا (الثانوية) لاعادهم للتدريس بالمدارس على اختلاف درجاتها وأخرى ثانوية لحملة الشهادة الابتدائية لاعادهم لتدريس بالمدارس الابتدائية فقط . وبالنسبة للمدرسة الأولى فقد انقسم التعليم فيها الى قسمين القسم الأدبي لتخريج مدرسين لالمواد الأدبية واللغة الانجليزية ، والقسم العلمي لتخريج مدرسين للرياضيات والعلوم (٨) كما اقتصر كل قسم على العلوم الخاصة به (٩) .

فدرس طلاب القسم الأدبي اللغة العربية واللغة الانجليزية وأترجمة والتاريخ الطبيعي وأصول التربية وعلم النفس والمنطق وقانون الصحة ودروس النقد والتاريخ والجغرافيا والرسم .

أما طلاب القسم العلمي فدرسوا اللغة الانجليزية والترجمة والرياضيات والكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعي وأصول التربية وعلم النفس والمنطق وقانون الصحة ودروس النقد كما اتفق على أن يتوم طلاب السنة الثالثة بالتمرين على تدريس بمدارس النظارة مدة أسبوعين على أن يكونوا تحت مراقبة بعض أساتذتهم وناظر المدرسة التي يتجرن بها الطلبة (١٠) .

وأشياء اللات للناظر أن اللغة العربية لم تدرس لطلاب القسم

(٧) مذكرات سعد زغلول ج ٢ ص ٦٦٦ .

(٨) دار الوثائق القومية : محفوظات مجلس الوزراء ، نظارة المعارف محفظة رقم ١/١٤/ب بعنوان مدارس المعامين قوانين ولوائح قانون مدرسة المعلمين الخديوية .

(٩) مذكرات سعد زغلول ج ٢ ص ٦٦٦ .

(١٠) محفوظات مجلس الوزراء نظارة المعارف ، المحفظة سابقة الذكر وثيقة بعنوان قانون مدرسة المعلمين الخديوية .

العلمي كمنظرائهم بالقسم الأدبي مع أن اللغة الانجليزية كانت تدرس في القسمين وأن عدد ساعات اللغة الانجليزية والترجمة كانت تزيد على ساعات اللغة العربية الاسبوعية بالقسم الأدبي ست ساعات (١١) .

أما عن الدروس التربوية فقد تساوى عدد ساعاتها في القسمين الأدبي والعلمي (١٢) .

وعند مقارنة المواد المقررة على طلبة المدرسة بالمواد المقررة بالمدارس المعاصرة لها مثل مدرسة القضاء الشرعي (١٣) ومدرسة دار العلوم (١٤) فيتضح أن الفرق ليس كبير في الأولى وأن كانت المواد التربوية قد اختلفت بها مدرسة المعلمين دون غيرها كما أن المواد القانونية ونظام القضاء والإدارة قد انفردت بها مدرسة القضاء الشرعي وحدها . أما عن المواد العصرية مثل الرياضيات والطبيعة والكيمياء والتاريخ والجغرافيا فقد تقررت على كل من المدرستين وأن كان المسئولون عن المناهج في مدرسة القضاء الذين لم يفلتوا من الانتقادات المبررة من الأزهريين قد تحلّلوا على مسميات بعض هذه المواد حتى لا يتم الاعتراض عليها ووضعوا الطبيعة والكيمياء تحت عنوان « الخواص التي أودعها الله تعالى في الأجسام » (١٥) ووضعوا الجغرافيا تحت عنوان « تقويم البلدان » .

أما إذا قارنا هذه المواد بما كان يدرس في دار العلوم فيتضح أنه على الرغم من نجاح هذه الدار في تجديد علوم اللغة العربية وإصلاحها والملاءمة

(١١) كان عدد ساعات اللغة العربية بالقسم الأدبي خمس والانجليزية والترجمة احدى عشرة .

(١٢) انظر قانون المدرسة بالمحقق رقم (١) المرفق .

(١٣) التفاصيل انظر كتابنا مدرسة القضاء الشرعي — دراسة تاريخية القاهرة ١٩٨٦ .

(١٤) للتفاصيل انظر محمد عبد الجواد : تقويم دار العلوم ، القاهرة د.ت .

(١٥) حول تفاصيل مفردات هذه المادة انظر :

مدرسة القضاء الشرعي : بروجرام مواد الدراسة ، القاهرة ١٩٠٧ ص ٥٥ .

بينها وبين حاجات الحياة الحديثة الى حد كبير ، وعلى الرغم من أنها عرضت عن التعمق في العلوم الاسلامية كما يفعل الأزهريون فانها لم تستطع التعديق في العلوم المدنية كما فعلت مدرسة المعلمين الخديوية .

وعلى اى حال فان معظم العلوم الحديثة التى دخلت في مناهج مدرسة المعلمين لم تكن قد دخلت الأزهر بعد خاصة وان رجاله كانوا يرون في ادخال هذه العلوم ضررا بالثقافة الاسلامية ، أما ما دخل فيه فقد درسه الأزهريون بنفس العقلية القائمة على الاستظهار والامتداد التام لآى أسلوب تقدى (١٦) .

ونتيجة للجهود التى بذأها سعد زغلول في تعديل لائحة مدرسة المعلمين وتطوير مناهجها فقد أعرب مجلس شورى القوانين عن شكره لنظارة المعارف على جهودها الواضحة في تطوير هذه المدرسة التى عليها المعقول الأول في تخريج الأكفاء (١٧) .

هذا عن مناهج المدرسة الدراسية أما عن بعثاتها الى الخارج فقد رأى سعد زغلول أن تقتصر على الخريجين الذين أتوا دراساتهم وذلك للاستزادة من بعثتهم بعد أن يكونوا قد وصلوا الى درجة من العلم تساعدهم على النجاح في المتابعة وليس على الطلاب الذين لم يكتمل

(١٦) لم يبدأ الأزهر في تطوير نفسه الا بعد افتتاح الجامعة المصرية فشرعت له قوانين جديدة تتمشى مع احتياجات النهضة الحديثة وما يحتاجه العالم الاسلامى من مطالب ، وأنشئت به كليات جامعية بعد أن وجد أنه ليس من الأخير أن يكون حربا على الحياة الحديثة خاصة وأن الاسلام يدعو الى التطور والرقى والطموح الى المثل العليا في الحياة الروحية والمادية معا ، ومع أن الأزهر قد خلج رداءه العلمى القديم وبدأ في شكل جامعة ، فانه مازال عليه أن يشق لنفسه طريق الوضوح والاستقرار .

(١٧) مجلس شورى القوانين : جلسة ٢٩ ديسمبر ١٩٠٨ .

استعدادهم بعد لدراسة في أوربا كما كان متبعا (١٨) وأن يلتحق طلابه هذه البعثات باحدى الجامعات الانجليزية كي يتعلموا فن التعليم ويكونوا قادرين على مواولة العملية التعليمية بمدارس نظارة المعارف (١٩) .

ومع ان بعض الوطنيين انتقد سعد زغلول لارساله خريجي المدرسة لاستكمال دراستهم ببريطانيا التي تسيطر على مقدرات أمورنا ، وتأخذنا بما نرغب لا بما نرغب فان رد سعد عليهم كان صريحا وواضحا حيث قال يلزمنا ان نتعلم على الذين ارتبطت مصالحنا بهم .

واستمر سعد زغلول طوال نظارته للمعارف (٢٠) شديد الاهتمام بهذه المدرسة فزارها اكثر من مرة ، وتابع مستوى طلابها وحول احدى هذه الزيارات أوضح سعد في مذكراته انه زار هذه المدرسة في يوم ٢٩ من فبراير عام ١٩٠٨ ووجه لطلابها بعض الاسئلة حول الصفات التي يحسون ان تكون تلامذتهم في المستقبل عليها فاجاب اغلبهم انهم يحبون ان يكونوا احرارا ففهم ان رؤوسهم مشغولة بالحرية ومعانيها فالتقى عاينهم النصائح اللازمة وانهمهم ان يلزموا جانب النظام وان يحبوا ان يكون التلميذ مجتهدا في دروسه محترما لاستاذه ، ومطيعا لأوامره وأن يكون انسانا بعد خروجه من المدرسة ينفع الناس وينتفع منهم (٢١) . ومعنى ذلك من وجهة نظرنا

(١٨) كانت الحكومة تفضل ايجاد من اكملوا الدراسة الابتدائية وهم لا يزالون صفار السن حتى يتزودوا بالدراسات الكلاسيكية قبل الاحاقم بالمعاهد العليا ، ويستطيعوا الوصول بفضل اعدادهم على ايدى المدرسين الأوربيين الى مستوى الشبان المتقنين بأوربا فلا يشعرون بالضعف ولا تفتر همتهم عن المنافسة العالمية والانفاذة من تعليمهم الاولى .

انظر : البعثات العلمية في القرن التاسع عشر ج ٢ ص ١٢٣ .
(١٩) مذكرات سعد زغلول ج ٣ ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٠ ص ٧٧ .

(٢٠) ترك سعد نظارة المعارف في ٢٣ فبراير ١٩١٠ .
انظر : وزراء التعليم في مصر وايرز انجازاتهم ، القاهرة المركز القومي للبحوث القربوية ١٩٨٠ ص ٥١ .
(٢١) مذكرات سعد زغلول ج ١ ص ٤٦٥ .

أن سعدا قصد بكلامه أن يصور للطلاب أن الحرية لا تتحقق إلا بالتربية
والنظام وليس الاخلال بالنظام .

وحول منع استخدام الغرب بالمدرسة أوضح سعد زغلول الطلاب
أساس هذا المنع وأنه أتى من خشية سوء استعمال هذا الاستثناء والخوف
من جعله قاعدة ، ومع ذلك فإنه يصح أن يباح إذا كان المعلمون جميعا
يحسنون استعماله (٢٢) .

وحول الكتب المقررة على طلاب المدرسة ، فقد طالب سعد زغلول
بإطلاق الحرية للطلبة في اختيار الكتب الدراسية التي تتعلق والمقررات التي
يدرسونها حتى تتسع معلوماتهم وتنطلق حرية البيع والشراء ، ولكن هذه
الحرية لم تكن مطلقة فقد تم إلغاء كتاب « سكوت » في التربية لمخالفة ما به
تعاليم الدين الاسلامي وطعنه لاحاسيس المسلمين كما منع تدريس علم
الاخلاق لكونه مخالفا للدين (٢٣) .

واستمرت مدرسة المعلمين الخديوية تؤدي واجبها في تغذية المدارس
المصرية بالمعلمين ، ونظرا لازدياد عدد طلاب المدارس الثانوية ، وحاجة
البلاد الى خريجي القسم العالي بالمدرسة للعمل في مدارس الحكومة تزايدت
الأصوات بطلب توسيع نطاق هذه المدرسة ، ونتيجة لذلك أمر الخديوي
عباس الثاني بإلغاء القسم الابتدائي بالمدرسة والاستعاضة عن فصوله
تدرجيا بفصول للقسم العالي بحيث يستعاض عن كل فصل يلقى من القسم
الابتدائي بفصل على الأقل مقابل له في القسم العالي .

وقد بدأ هذا التعديل تدريجيا ابتداء من السنة الدراسية ١٩١١ .
١٩١٢ (٢٤) .

(٢٢) مذكرات سعد زغلول ج ١ ص ٤٦٥ .

(٢٣) نفسه ج ٣ ص ٢٥٢ — ٢٥٣ .

(٢٤) محفوظات مجلس الوزراء ، نظارة المعارف ، محفوظة رقم

١٤/١/ب وثيقة بعنوان قانون بشأن توسيع نطاق مدرسة المعلمين الخديوية
العالية .

والى جانب ذلك فقد أقر مجلس المعارف الأعلى (٢٥) بجلسته المنعقدة في ٢٢ يونيو ١٩١٠ بإنشاء فرقة لدراسة علم الآثار المصرية وتاريخ مصر القديم والحاقتها بمدرسة المعلمين الخديوية (٢٦) .

ونتيجة للتسهيلات التي قدمتها نظارة المعارف لطلاب هذه المدرسة زاد الإقبال عليها بنسبة كبيرة (٢٧) فافتت قدرة النظارة على استيعابهم للتدريس بمدارسها مما دفع الحكومة الى الحد من هذه الزيادة عن طريق التقايل من المكافآت التي كانت تمنح لطلاب هذه المدرسة فبعد أن كانوا يحصلون على مكافآت تصل الى أربعة جنيهاً فضلاً عن تعليمهم بالمجان انخفضت تدريجياً حتى وصلت الى جنيه واحد ثم انقضت نهائياً في عام ١٩١٤ .

(٢٥) كان للمعارف مجلس أعلى له الحكم الفصل في إدارة المعارف العمومية وكان قد صدر الأمر بتشكيله في ٢٨ مارس ١٨٨١ بحيث يتكون من عشرة أعضاء بما فيهم ناظر المعارف الذي يرأس هذا المجلس ، ويكون منفذاً لما يقرره الأعضاء بأغلبية الآراء ، وقد أعيد تشكيل هذا المجلس في ٢٩ ديسمبر ١٩٠٦ .

(٢٦) يرجع الفضل في انشاء هذه الفرقة الى العالم الأثري أحمد كمال باشا وكان ضمن طلابها أحمد عبد الوهاب باشا ، وسليم حسن بك .
(٢٧) زاد عدد الطلاب من ٢٢ طالباً في العام الدراسي ١٩٠٦ — ١٩٠٧ الى ٤٦ طالباً في العام الدراسي ١٩٠٨ — ١٩٠٩ ثم تدرجت الزيادة حتى وصلت الى ٢٣٥ طالباً في العام الدراسي ١٩١٣ — ١٩١٤ .
التفاصيل أنظر : محفوظات مجلس الوزراء ، نظارة المعارف محفوظة رقم ١/١٤ ب/ بعنوان مدارس المعلمين لوائح وقوانين .